

في الخطاب الشهير الذي ألقاه أوباما في الجمعية العمومية للأمم المتحدة في سبتمبر الماضي، أعلن أن أمريكا لن تتدخل في شئون الدول الأخرى لتفرض عليهم نمطا معينًا من الحياة. كما أعلن أنها لن تتدخل في العلاقة بين الحكام وشعوبهم، بغض النظر عن اتفاق هذه العلاقة مع قيم الحرية والديمقراطية التي تؤمن بها الولايات المتحدة الأمريكية أم لا. كذلك أعلن أوباما أن التغيير في هذه الدول مسئولية الشعوب، وأن عليها وحدها أن تقاوم وأن تنهض وأن تناضل حتى تصل إلى النظام الذي ترضيه.

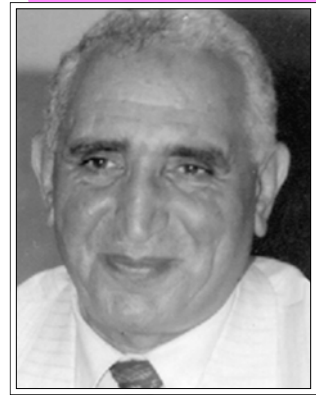
ذكرت وكالات الأنباء المختلفة أن هذا الإعلان قوبل بارتياح شديد من قبل حكام الأنظمة الشمولية، وعلى رأسهم حكام الدول العربية. لم يكن ما قاله أوباما خيارًا بين عدة بدائل، ولكنه كان ضرورة استخلصها هو والمستشارون المقربون إليه بعد السقوط في أعماق مستنقعات الفشل العسكري والسياسي التي شهدتها العراق وأفغانستان وباكستان، وبعد تضحيات جسيمة في الأرواح والأموال... وأصبح الخروج من هذه المستنقعات بما يحفظ ماء الوجه شيئًا بعيد المنال... لقد اتسع الصدع في علاقة شعوب العالم الإسلامي من ناحية، وحكومات أمريكا وحلف الناتو من ناحية أخرى، اتساعًا تصعب معالجته وعودة البشرية إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها... ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ارتياح كبير

لا أخفى أنني ارتحت أيضًا لهذا الإعلان وقلت لنفسي: «أفلح أوباما إن صدق». وصدق أوباما لا يكون بالقول أو بالوقوف موقف المتفرج من هذه الأنظمة، ولكن يكون بامتناع حكومته وحلفائها عن دعم أي نظام شمولى ظالم يزور إرادة شعب ويحرمه من حقه في تغيير حكومته سواء بتزوير انتخاباته، أو الحيلولة دون وصول معارضيه إلى صندوق الانتخابات، أو إشيع الفساد بين أبنائه ويجعل موارد الدولة وأراضيها وبنوكها دولة بين نفر من رجال الأعمال وأبنائهم وأصهارهم. صدق أوباما يكون بعدم دعم هذه الأنظمة سياسيًا أو ماديًا أو عسكريًا أو اقتصاديًا أو معنويًا في أي بقعة من بقاع الأرض.

ارتحت لهذا الإعلان، لأنه حمل الشعوب مسئولية التغيير وهي المسئولية نفسها التي حملها الإسلام للناس كافة منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا... إذا أرادوا أن يغيروا واقعًا فُرض عليهم أو ضنكًا لا قبل لهم به فإن عليهم أنفسهم... ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]... وهو ما يعنى ببساطة أن الله لن يغير الحال إلا إذا وجدت إرادة التغيير وتبعها العمل.. إن الله لن ينصر قومًا لا يفعلون أكثر من الاعتكاف في المساجد رافعين أكف الضراعة إلى الله أن ينصرهم ولو اعتكفوا العمر كله... إن الله لن يغير حالنا وقد جعلنا ساحات جهادنا المكاتب الأنيقة المكيفة

أوباما.. أفلح إن صدق



د. أحمد حسانين حشاد
أمين عام النقابة

□ الذين يتصدون لمهمة تغيير

الواقع لا بد أن ينتشروا بين الناس..

ويكونوا لهم قدوة.. وألا يكتفوا

بالكلام..فما أسهله..

وما أرخصه.

□ علينا كشعوب عربية وإسلامية..

ألا نركن لأفكار ونيات أوباما..

مهما كانت خالصة أو واعدة..

وعلينا في الوقت ذاته إصلاح

أنفسنا.. والخروج من حالة

الاستضعاف والعجز التي

وضعنا أنفسنا فيها



الوعد الذي قطعه أوباما على نفسه بنزع السلاح النووي على المستوى العالمي.. سيكون صعب التحقيق.. لأن تفكيك هذه الأسلحة يحتاج إلى سنوات طويلة تتعدى المدة التي حددها

أن الأمر سيكون سهلاً أو أن الطريق سيكون ممهداً؛ لأن تفكيك هذه الأسلحة وإعادة معالجة المواد النووية التي تحويلها لاستخدامها في أغراض سلمية يحتاجان إلى فترات طويلة تتعدى السنوات العشر المقدرة. وأعتقد أنه يمكن خلال هذه المدة -إذا صدقت النية واستمر العزم- الوصول إلى المبادئ التي تحكم عملية النزاع ومعدلاتها والدول التي ستشارك فيها، والموقف من الدول التي قد ترفض نزع سلاحها، ونوعية العقوبات التي قد تُفرض عليها، والضمانات التي يمكن للمنظمات الدولية المعنية أن تعطيتها للدول لتشجيعها على الانخراط في هذه العملية.

إن ما طرحه أوباما من أفكار واقتراحات قد يدعو الكثيرين للتشكيك في هذه النوايا من طرحها والتقليل من شأنها وإمكانية تحقيقها، ولهم كل العذر في ذلك في ضوء تاريخ طويل من التحيز ضد الدول العربية والإسلامية. ولكن كل ما أرجوه ألا يقتصر رد فعلنا تجاه هذه الأفكار على التشكيك أو الشجب والسخرية، وأن يكون لنا برنامجنا الذي يمضي في طريقه غير متعثر في عقبات ومحاولات المثبطين مثل ما يقوم به بعض رجال الأعمال في مصر من حملات مسعورة لإجهاض البرنامج النووي والاستفادة من الأراضي المخصصة له وتحويلها إلى منتجات ومصايف ينعم بها حفنة من الأغنياء الذين بنوا ثروتهم من امتصاص دماء الكادحين من أبناء شعب مصر. علينا ألا نركن إلى أفكار ونوايا أوباما مهما كانت خالصة أو واعدة، ولكن علينا أنفسنا نصلح منها ونزكيها بإخلاص. وأنا على يقين أن الله سيحاسبنا على ما فرطنا في حق شعوبنا بالتواكل والكسل والاستعانة بغيره، بأكثر مما سيحاسب به الذين استضعفونا وأسأوا إلينا وعملوا على إضعافنا.

واستوديبات القنوات التلفازية... نملأ الدنيا ضجيجاً كلما أصابنا ضرر أو نزلت بنا نازلة... نشكو إلى العالم جبروت المعتدين طالبين النصر من قوم يخفون في أنفسهم ما لا يبديون.

شروط التغيير

إذا أردنا أن نغير ظلماً نتعرض له فلا بد للنائم أن يستيقظ، وللمنبطح أن ينهض، وللمسترخى أن ينتبه، وللخائف أن يتيقن أن أي ضرر يمسسه هو من الله ولن يخرج منه إلا بفضل الله. كما أنه لا بد للمتعالي أن يتواضع، وأن يعي أن ما يتباهى به لا يعدل مثقال ذرة مما أنعم الله به عليه، وأن الكبر والتكبر من المهلكات؛ لأن الكبر رداء الله وحده ولا يسمح أن يشاركه فيه أحد. كما أنه لا بد للكسول أن ينشط، وللجاهل أن يتعلم، وللقذر أن ينظف من شأنه، وللغني أن ينفق مما رزقه الله، وللعامل أن يتقن صنعته، وللمعلم أن يخلص في مهنته.

إن الذين يتصدون لمهمة تغيير الواقع لا بد أن ينتشروا بين الناس، ويكونوا لهم قدوة، وتكون علاقتهم بهم قائمة على الود والدعوة العملية، وألا يركنوا إلى الكلام.. فما أسهله وما أرخصه! هنا فقط نضرع إلى الله أن ينصرنا فيستجيب لنا دون عون أوباما أو غيره، دون أن نلتقى بسفير أو رئيس؛ فليس لنا إلا الله ولكن بشرط أن نصدق معه ونرضخ لنهجه.

أوباما والأسلحة النووية

تعرض أوباما لقضية انتشار الأسلحة النووية وطالب بنزع السلاح النووي على المستوى العالمي وقال إنه سيعمل مع حلفائه على تخفيض متدرج للترسانة النووية في أمريكا وكل دول العالم بحيث يتم نزع كل الأسلحة تماماً خلال عشر سنوات... لا أحسب